فَـــذَاكَ الَّـــذِي عَـــبَّـــهُ مَـــاؤُهُ
وَذَاكَ الَّـــذِي ذَاقَـــهُ طَـــعْـــمُـــهُ(١)
وَمَـــنْ ضَـــاقَـــتِ الْأَرْضُ عَـــنْ نَـــفْـــسِـــهِ
حَـــرًى أَنْ يَـــضِـــيـــقَ بِـــهَـــا جِـــسْـــمُـــهُ(٢)

أين المحاجم يا كافور؟

وقال يهجو كافوراً أيضاً:

[البسيط]

مِـنْ أَيَّـةِ الـطُّـرْقِ يَـأْتِـي مِـثْـلَـكَ الـكَـرَمُ
أَيْـنَ الـمَـحَـاجِـمُ يَـا كَـافُـورُ وَالْـجَـلَـمُ(٣)
جَـازَ الأُلَـى مَـلَـكَـتْ كَـفَّـاكَ قَـدْرَهُـمُ
فَـعُـرِّفُـوا بِـكَ أَنَّ الْـكَـلْـبَ فَـوْقَـهُـمُ(٤)

---

(١) عبّه: جرعه. لقد ذاق فاتك طعم ما كان يُذيقه لأعدائه، فإذا به يكون طعماً سائغاً لما كان يفعله مع سواه، فتجرّعه الموت، وهو من صنع يديه.

(٢) حرى: خليق وجدير. إن فاتكاً من العظماء الذين تضيق بهم الحياة ذرعاً ولا تستطيع الاستجابة لرغباتهم وطموحهم إلّا راغمة، وإن لم تفعل كان عليها أن تغتال طموحهم وتسلبهم حياتهم ثمن فشلها، لذا هلك، لأنه لم يحتمل العيش في قاع الاستكانة والضعف.

(٣) المحاجم، الواحدة محجمة: القارورة يُحجم بها الجلد. الجلم: أحد شقي المقراض، وهما جلمان. يسخر الشاعر من كافور، فالكرم لا يتعرّف إليه، فكلّ الطرق مقطوعة بحواجز وموانع يصعب على كافور تخطيها أو التخلّص منها. وإمعاناً باحتقاره يسأله عن المحاجم والجلم، هل لا زال يستعملها أم خبّأها في مكان ما؟ يذكّر الشاعر كافوراً بمن اشتراه في ما مضى وكان حجّاماً.

(٤) يصبّ الشاعر جام غضبه على من ملّكوا كافوراً عليهم، لقد انصرفوا عن جادة الصواب وغيّروا وبدّلوا بدينهم، فابتلاهم ربهم بمن يسومهم سوء العذاب؛ بكلب لا يكلّ عن عضّهم وإرعابهم بنباحه عليهم.

ـ ورد بعد هذا البيت بيت لم يرد في الديوان، وهو التالي:

لَا شَـيْءَ أَقْـبَـحُ مِـنْ فَـحْـلٍ لَـهُ ذَكَـرٌ تَـقُـودُهُ أَمَـةٌ لَـيْـسَـتْ لَـهَـا رَحِـمُ

سَـادَاتُ كُـلِّ أُنَـاسٍ مِـنْ نُـفُـوسِـهِـم
وَسَـادَةُ الـمُـسْـلِـمِـيـنَ الأَعْـبُـدُ الـقَـزَمُ[١]

أَغَـايَـةُ الـدِّيـنِ أَنْ تُـحْـفُـوا شَـوَارِبَـكُـمْ
يَـا أُمَّـةً ضَـحِـكَـتْ مِـنْ جَـهْـلِـهَـا الأُمَـمُ[٢]

أَلَا فَـتًـى يُـورِدُ الـهِـنْـدِيَّ هَـامَـتَـهُ
كَـيْـمَـا تَـزُولَ شُـكُـوكُ الـنَّـاسِ وَالـتُّـهَـمُ[٣]

فَـإِنَّـهُ حُـجَّـةٌ يُـؤْذِي الْـقُـلُـوبَ بِـهَـا
مَـنْ دِيـنُـهُ الـدَّهْـرُ وَالـتَّـعْـطِـيـلُ وَالـقِـدَمُ[٤]

مَـا أَقْـدَرَ الـلَّـهَ أَنْ يُـخْـزِي خَـلِـيـقَـتَـهُ
وَلَا يُـصَـدِّقَ قَـوْمـاً فـي الَّـذِي زَعـمُـوا[٥]

---

(١) القزم: أراذل الناس وسفلتهم. من طبيعة الأمم العظيمة أن تُولّي عليها أفضل رجالها علماً وفهماً وشجاعة وورعاً، والأمر الآن معكوس، فقد ولي أمور المسلمين عبيدهم الأراذل اللئام. يحاول الشاعر أن يُثير الناس ضدّ كافور لعلّهم يخلعونه من ربقتهم.

(٢) أحفى شاربه: استأصله، حلقه. ينتقد الشاعر المصريين بأنهم يُحفون الشوارب، فالدين لا يُعوّل فيه على الشكليات والمظاهر، وهذا ما يدعو إلى السخرية، فالأمم ضحكت من جهلهم. يعمل الشاعر على كشف حقائق الأمور علّ هؤلاء يثورون ضدّ حاكم لا يربطهم به أدنى رباط.

(٣) الهندي: السيف المصنوع في الهند. الهامة: الرأس. يحرّض الشاعر على اغتيال كافور، ألا يُوجد فتى يُحسّ بالكرامة فيخلع عن نفسه الخوف والجبن ليحرر الأمة من مسبّة لحقت بها وينفي الشكّ بأن اللّه عزّ وجلّ ابتلاهم بحاكم كهذا لعجزهم عن إدارة شؤونهم بأنفسهم، لذا فالمرء يتساءل أين العدالة الإلهية؟ وما سرّ تلك النكبة التي حلّت بالقوم؟

(٤) يرى الشاعر أن تملّك كافور مدعاة للدهرية والمعطّلة والقائلين بقدم العالم، وأن لا ربّ يُسيّر الكون، أن يتمخرقوا على الدين، بأنه لو كان هناك إله يدبّر الأمر، ما ملك كافور العبد أمثال هؤلاء الأحرار.

(٥) يردّ الشاعر مزاعم أولئك الملاحدة وتمخرقهم على الدين بأنه أراد سبحانه وتعالى أن يُجازي القوم بتملك عبد عليهم علّهم يرجعون إلى ربّهم ويتوبون عندئذ فلا بدّ من أن يستأصله من بينهم في حال طاعتهم واستجابتهم أوامره.